أهمية اكتساب العاملين في القطاع الصحي والدعاة لمهارات التثقيف الجنسي

إعداد

أ.د./إبراهيم علي كباش

أستاذ الصحة العامة وطب المجتمع

كلية الطب – جامعة طنطا – مصر

لا شكَ أن الحديث عن الجنس ليس أمرًا سهلًا، لما يلفُه من الحرج والخجل، لاسيَما من وسط محافظٍ في أكثره كالدعاة الدينيين والعاملين في المجالات الصحية. لكن لا مبالغة أن نقول أن الأصعب فعلا هو محاولة تجنبه، فقد أصبح الجنس موضوعًا أساسيًا في الأخبار ووسائل الترفيه ووسائل التواصل الاجتماعي والإعلانات، بقصدٍ وبغير قصد.

يعتقد البعض أن الثقافة الجنسية تتعارض مع الدين أو أنها تشجع الإباحية والتفلت الأخلاقي، وهذا بالطبع غير صحيح على إطلاقه، فقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم أيقونة الحياء والتحفظ، يعلم الصحابة الكرام كيف يتعاملون مع نسائهم، وكيف تكون العلاقة الجنسية معهنَّ، وماذا يقولون عند الجماع، وكان يستشيره صلى الله عليه وسلم الرجال والنساءُ على حدٍّ سواء في أمور تتعلق بالجنس والفقه الإسلامي، والتفاسير القرآنية المختلفة، تتناول القضايا الجنسية بصراحة ووضوح وبشكل منطقي وعملي وأخلاقي وتربوي في آن واحد.

وفي هذا العصر الذي أصبح من أهم سماته التركيز على الجنس إلى حد الهوس، لم يعد الرموز المجتمعية مثل الدعاة الدينيين والعاملون الصحيَّون، يملكون رفاهية تجنب الحديث في الأمور الجنسية، والقيام بواجبهم في التوعية الجنسية لاسيَّما للأطفال وللمراهقين، فهم الأجدر بتولي أمر القيام بهذه المهمة، لامتلاكهم ناصيتيْ الطب ومعلوماته الموثَّقة بعيدًا عن الخرافات غير العلمية بالغة الضرر، والدين الذي هو الضابط، وراسم المعايير التي تحكم كل شيء بميزان الشريعة الدقيق.

والثقافة الجنسية في حد ذاتها أمر لابد منه؛ لأنه يتعلق بأمر فطري وبحاجة عضوية ونفسية ملحة، والإنسان إذا ما وصل إلى مرحلة معينة سيبدأ يبحث فيه ـ سواء علم من معه أو لم يعلموا ـ، ولكن الذي ينبغي أن يقال هو أن مسؤولية المجتمع بداية من الأسرة والمدرسة والجامعة والمجتمع ككل هي في وصول تلك الثقافة الهامة ـ والخطيرة في نفس الوقت ـ بطريقة مدروسة ومرتبة يراعى فيها حال الشاب أو الشابة بحيث يتدرج فيها تدرجا يسمح له بالمعرفة والإدراك مع الحفاظ عليه من التشتت والانحراف

ما يميز التربية الجنسية من منظور الشريعة الإسلامية، هو سيرها على منهج القرآن الكريم، في اعتدال ووسطية رشيدة جسّدها قوله تعالى: {وكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ} الآية [البقرة، 143]. على أن وسطية المنهج الإسلامي، وشهادة المسلمين على الناس، لا تنفكان عن هموم البشرية وقضاياها الكبرى، ومن بينها قضية التربية الجنسية.

وإذا اتخذْنا من القرآن الكريم - المتاح أمام كل مسلم للقراءة والتدبر صغيرًا كان أم كبيرًا - نموذجًا في التطرق إلى الأمور الجنسية، فسنجد مزيجًا فريدًا من الصراحة في إيصال المعني، والتحفظ الأخلاقي الذي لا يهتك أستار الحياء. في الآية 189 من سورة الأعراف، يتحدث القرآن عن العملية الجنسية بين الزوجين، بلفظٍ واضح لا لبس فيه (فلما تغشاها) أي وطِئها، كما يذكر ابن كثير الدمشقي في تفسيره الشهير، لكن في نفس الوقت لفظُ غير فاحش، وجاء في سياق متحفظٍ يحيط الجزء الجسدي الجنسي بهالةٍ من قداسة العاطفة والمعنى، فيأتي ذكره بعد (ليسكن إليها)، فليست العلاقة الجنسية آداءً ميكانيكيًا يهدف للمتعة فحسب، إنما تكريس للزوجية وللسكن وللاستقراريْن العاطفي والجسدي، وللأصل الواحد الذي نبع منه الجنسيْن.

هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ۖ فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِ ۖ فَلَمَّا أَثْقَلَت دَّعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ (189)

فإذا انتقلنا إلى سورة البقرة، الآية 223، ترد العملية الجنسية بوصفٍ أكثر تفصيلًا، بأسلوبٍ مجازيٍّ تشبيهي، يشير من طرفٍ خفي لكنه واضح إلى تفصيلة أدائية هي (الأوضاع الجنسية) والتي لا حرجَ فيها شرعًا طالما ستؤدي العلاقة إلى التقاء الأعضاء الجنسية بما يحقق الغرضْ الأصيل وهو الإنجاب، ويشبهها ببذر البذور في الأرض الخصبة للاستزراع، وينهَى بطريقٍ

غير مباشر عن سلوكيات جنسية شاذة مثل الجنس الشرجي، ينقل الإمام الطبري في تفسيره عن ترجمان القرآن الصحابي عبد الله بن عباس قوله { فأتوا حرثكم أنى شئتم } يأتيها كيف شاء ما لم يكن يأتيها في دبرها أو في الحيض.

ثم يتكرر مرة أخرى ربط العلاقة الجنسية بالأبعاد العاطفية، وبالمودة وبالرفق الأصيليْن في الرابطة الزوجية، فيذكّر الرجال الأكثر مبادرة في غالب الأحوال في العلاقة الجنسية بأن يمهدوا لها بحسن معاملة الزوجة وملاطفتها (وقدِّموا لأنفسكم) فليس الجنس مجرد علاقة نشوة أنانية.

نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ۖ وَقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُم مُّلَاقُوهُ ۗ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ (223)

إذًا، فلا مبررَ لأن تبقى الأسر والمجتمعات المسلمية رهينة لثقافة العيب والخجل في غير موضعه، فالحرجُ كل الحرج في ترك تلك المساحة الخطرة فارغةً ليملأها غيرنا وفق قيمه الخاصة ومنظومته التي تصادم في أكثر جوانبها ثوابتنا الأخلاقية، وخصوصيتنا الدينية. كما يصبح الأطفال والمراهقين فريسةً سانحةً للثقافة الجنسية المغشوشة التي تشوش الفطرة، وتحول دون المعرفة والحكمة الطاهرة.

ذكر بعض الدعاة الشباب أنه عندما نظَّمَ دورة للتثقيف الجنسي لشباب من عمر 12 – 15 ، أمطروه بأسئلة تفصيلية لم تخطر أبدًا بباله أن ترد بخاطر من هم في هذا السن الصغير نسبيًا، وهالَهُ تعجبهم من أنَّ للإسلام علاقة بهذا الموضوعات؟!، وشكا العديد منهم من غياب دور المساجد في هذا الشأن، ونادرا ما يتناول الأئمة هذا الموضوع في الخطب والدروس والمحاضرات.

ومما يضاعف أهمية دور الدعاة والعاملين الصحيين في التثقيف الجنسي، ظاهرة أنَّ أكثر الآباء والأمهات لا يربون أبناءهم جنسيا بفاعلية، لأسباب عديدة، إما لجهلهم بالطرق المثلي الفعالة لتوصيل المعلومة لهم، أو يمنعهم حياؤهم عن فتح مثل هذه المواضيع أمام أبنائهم، أو لأنهم ليس لديهم المعلومة الصحيحة من الأساس، فإذا لم نوفَّر البديل الآمن لهذا التقصير في المنزل، فإننا نترك هؤلاء الأطفال والمراهقين في العراء يتلقون المعلومات من

الخارج كيفما اتفق، عبر الأجهزة الذكية التي أضحت في كل يد، ومن الراجح أن تأتيهم المعلومة عندئذٍ بطريقة خاطئة وغير منضبطة.

ويجب على الداعية المنوط به تلك المهمة النبيلة تقديم جرعات مناسبة للأطفال وللمراهقين تتوافق مع أعمارهم واحتياجاتهم، حتى لا يكون الأمر مفاجأة صادمة، وأن يجد الطفل والمراهق ردودا مقنعةً على تساؤلاته المتعلقة بهذا الأمر، وإلا فسيطلبها من مصادر غير آمنة أو من خلال طرق غير مشروعة.. فكأن تقديم هذا النوع من المعلومات بهذه الصورة الممرحلة هو في الحقيقة جرعات مناعة وحماية للأبناء من خطوات الشياطين ومن إغواء المارقين.

من أهم رؤوس الموضوعات في التثقيف الجنسي التي يمكن للدعاة وللعاملين الصحيين التركيز عليها:

<u>بالنسبة للأطفال (وذويهم):</u>

- إخراج الطفل من غرفة نوم والديه بلطفٍ قبل المعاشرة الجنسية.
- تعليم الاستئذان قبل الدخول على الوالدين بغرفتهما.
- تدريب الطفل على ألا يسمح لأي شخص بتغيير ملابسه والنظر لعورته إلا الوالديْن للضرورة.
- لا نتركه في البيت وحده مع العاملة أو العامل.
- الحديث عن عورته بطريقة إيجابية حتى لا يكره جسده ويصاب بعقدٍ نفسية.
- تعليم الطفل ألا يحاول أحد أن يلمسه في أماكن عورته.
- قبل خلعَ ملابسه، يجب أن يتأكد أن باب الغرفة مغلق.
- التوجيه اللطيف الذكي للبنات خصيصًا بالابتعاد عن ارتداء الملابس الفاضحة أو اللاصقة أو الشفافة، وإفهامهنَّ السبب في ذلك بلطفٍ وبذكاء يحقق المطلوب، دون إشعارهن بأن أجسادهنَّ دنسة، ودون أن يفقدنَ الثقة في أنفسهن.
- تحذير الأطفال ممن يقترب منهم كثيرا ويحاول أن يلتصق بأجسادهم.
- تنمية الرقابة الذاتية عند الأطفال، فلا يسترسلون في النظر إذا وقعت العين على منظر مخل للأدب على شاشة التلفاز أو الهاتف الذكي.

بالنسبة للمراهقين:

- تعريفهم بمعنى البلوغ والدورة الشهرية عند النساء.
- شرح معنى الاعتداء الجنسي والتحرش الجنسي، ومظاهر كل منهما.
- التحذير الذكي من خطورة المغامرات الجنسية غير المنضبطة، ومن ارتياد المواقع الإباحية.
- التعريف بأعضاء الجسد ووظائفها البيولوجية من الناحية العلمية.
- نوضح لهم حدود التعامل الآمن المنضبط مع الجنس الآخر، لاسيَّما من يدرسون بمدارس مختلطة أو أجنبية.
- فتح المواضيع العاطفية والجنسية معهم بأريحية بين فترة وأخرى، منعًا للكبت.
- الحديث التفصيلي عن الأمراض الجنسية وأسبابها (الإيدز والهربس.....) وكيفية تجنبها بفاعلية.

ويجب ألا يخجل الدعاة من أسئلة المراهقين الجنسية والمحرجة، أو أن يحاولوا التهرب من شرح الموضوع لهم، فالأطفال والمراهقون لديهم ميل طبيعي وفطري لاكتشاف الحياة بكل ما فيها، فتأتي أسئلتهم تعبيرا طبيعيا عن يقظة عقولهم، وبالتالي ينبغي على المربي ألا تربكه كثرة الأسئلة أو مضمونها، وألا يزعجه إلحاح الصغار في معرفة المزيد، بل على المربين التجاوب مع هذه الحاجة.

كما يجب ألا يملَّ الدعاة والعاملون الصحيون من تكرار الشرح والإفهام لأكثر من مرة، لأن التكرار مهم في العملية التربوية، وخاصة للأطفال الصغار الذين لا يدركون بشكل كامل أبعاد التربية الجنسية، ويظنون أن أكثر الناس طيبون ومخلصون، ولا يتوقعون أنه يوجد أشخاص قد يستغلونهم من أجل شهوتهم ومصلحتهم الشخصية.

ويجب إعطاء المعلومات الجنسية الصحيحة للأطفال وللمراهقين على دفعات بأشكال متعددة، مثلا مرة عن طريق التوصية بكتاب منضبط، وأخرى عن طريق فيديو، وثالثة من خلال

درس في المسجد، فيساعد هذا على أن تترسخ الثقافة الجنسية السويَّة في أذهانهم واستيعابها وإدراكها بما يواكب نمو عقولهم.

ويجب على من يقدم هذا التثقيف الجنسي، أن يكون هو نفسه مثقفًا في الأمر بشكلٍ سليم، ففاقد الشيء لا يعطيه، والإناء الفارغ لن يملأ غيره. ويجب أن يتسم كذلك بالثقة في النفس، والاقتناع التام بجدوى ما يفعل، حتى لا يبدو عليه أن يقوم بواجبٍ مزعج يريد التخلص منه.

ويجب ألا تخجل جهود التربية الجنسية التي يقوم بها الدعاة والأطباء من اللجوء إلى بعض الجرأة في الطرح، وفي الاشتباك مع المظاهر الجنسية الفجَّة في الوسط المحيط، لاسيَّما ونحنُ في زمنٍ تعاني فيها البشرية جمعاء، ومن ضمنها بعض الأوطان العربية والإسلامية، من الفوضى الجنسية، وانتشار الزنا واللواط، والحمل غير الشرعي، والأطفال المُتَخلَّى عنهم، وذيوع السحاق، ووطء الحيوانات، ، وشيوع الاغتصاب وزنى المحارم سواء الأصول والفروع على حد سواء، وانتشار الأمراض المتنقلة جنسيا كالإيدز والسيلان والهربس .. الخ. فلا يملك أحد رفاهية محاولة دفن الرؤوس في الرمال.

ويجب على الدعاة تجنب الصدام أو حدة الأسلوب أثناء تناول تلك القضية، فالمناخ الحواري الهادئ من أهم شروط إنجاح التربية الجنسية الصحيحة، فالتمرُّس على إقامة حوار هادئ مفعم بالمحبة، يتم تناول موضوع الجنس من خلاله، كفيل بمساعدة الأطفال والمراهقين على الوصول إلى الفهم الصحيح لأبعاد "الجنس" والوصول إلى نضج جنسي، متوافق مع شريعتنا الإسلامية السمحاء، وأحكام ديننا الحنيف.

روابط لمزيد من الاطلاع:

تفسير ابن كثير: الآية 189 سورة الأعراف

http://quran.ksu.edu.sa/tafseer/katheer/sura7-aya189.html

تفسير الطبري: الآية 223 سورة البقرة

https://quran.ksu.edu.sa/tafseer/tabary/sura2-aya223.html

إسلام أون لاين: التربية الجنسية في الإسلام: مقاصد وضوابط.
https://islamonline.net/%D8%A7%D9%84%D8%AA%D8%B1%D8%A8%D9%8A%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%AC%D9%86%D8%B3%D9%8A%D8%A9-%D9%81%D9%8A-%D8%A7%D9%84%D8%A5%D8%B3%D9%84%D8%A7%D9%85-%D9%85%D9%82%D8%A7%D8%B5%D8%AF/

موقع طريق الإسلام: 47 خطوة عملية للتربية الجنسية ..
https://ar.islamway.net/article/41247/47-%D8%AE%D8%B7%D9%88%D8%A9-%D8%B9%D9%85%D9%84%D9%8A%D8%A9-%D9%84%D9%84%D8%AA%D8%B1%D8%A8%D9%8A%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%AC%D9%86%D8%B3%D9%8A%D8%A9

موقع طريق الإسلام: متى وكيف الثقافة الجنسية.
https://ar.islamway.net/article/88422/%D9%85%D8%AA%D9%89-%D9%88%D9%83%D9%8A%D9%81-%D8%A7%D9%84%D8%AB%D9%82%D8%A7%D9%81%D8%A-%D8%A7%D9%84%D8%AC%D9%86%D8%B3%D9%8A%D8%A9

مايوكلينيك: التثقيف الجنسي: التحدث مع طفلك المراهق عن الجنس

https://www.mayoclinic.org/ar/healthy-lifestyle/sexual-health/in-depth/sex-education/art-20044034